ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست
بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين
وقال معناه لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرض
مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظايم ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية
كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين
بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما
التصريح بالياء فليس بقراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون
تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة
وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم
بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي بالقتال اظلم فما يمنعكم من
ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم
وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول
والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم
تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان
قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم
الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم
بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة
قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا
الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم من المكروه وقد
حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من
يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن
اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم
يعلم ما يكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا
في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها
التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين
المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم
والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد

بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما
القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد
كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد لان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا
لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد
لان طريقته طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين
حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله تعالى
وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون
عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا سوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم
بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية
وفك العناة واذا هدم الكفر والكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك
اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في
حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون
معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها
واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد
من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث
في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من
الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي
الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فان قلت
هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهد ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت
ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله
والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار
على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق لله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر

ظرف ان يخاف لا شرط والتقدير
وان يخاف الله اذا اعترضه امران

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)